فى سبيل وحدة الوجود

قرأت الكلمة الأخيرة للأستاذ دريني خشبة فى الرد على الأستاذ معروف الرصافى ، وهى كلمة لا تتسق مع موضوع البحث ، لأن الأستاذ دريني سلك فيها مسلك التحدى للأستاذ الرصافى ، وذلك مسلك لا أرتضيه فى أمثال هذه المساجلات

وسبب هذه المعارك القلمية يرجع إلى آرائى عن وحدة الوجود فى كتاب التصوف الإسلامى ، وكان المنتظر أن أقول كلمة فى الفصل بين أولئك المتخاصمين ، ولكنى سكتّ عن عمد ، لأن تلك المعارك اتجهت وجهة دينية ، مع أن نظرية وحدة الوجود نظرية فلسفية ، والدين يلاقى الفلسفة فى حين ويفترق عنها فى أحيان

كنت أستطيع أن أفصل بين أولئك المتخاصمين ، لأن كتابى سبب هذه الخصومة ، ولأنى شغلت نفسى بدرس هذه النظرية عدداً من السنين ، ولكنى رأيت أن أقف على الحياد ، لأن اشتراكى فى المناظرة سيزيدها احتداماً إلى احتدام ، وسيسوقنا جميعاً إلى متاعب فكرية تزلزل العقول ، وتبلبل القلوب

أنا حاضر لخوض هذه المعركة من جديد ، ولكن أين الميدان ؟

سيتصدّى للرد علىّ ناس لا يفهمون مرامى كلامى ، كالناس الذين زعموا أنى أنكرت إعجاز القرآن فى كتاب النثر الفنى ، مع أن آرائى فى إعجاز القرآن هى الآراء الباقية ، وإن قال بعض الخلق إنها من الكفر الموبق !

لن أعيد القول فى نظرية وحدة الوجود إلا يوم أضمن أن ينظر الناس لحرية الرأى ، كما كان ينظر المسلمون إلى تلك الحرية فى عهد ازدهار المدنية الإسلامية

أما اليوم فأنا يائس من حرية الرأى ، فكل كاتب يحاول أن يكون واعظاً فى مسجد ، أو راعياً فى كنيسة ، كأن الفكر الحرّ من القيود لم يبق له مكان فى هذا الوجود

والذى يهمنى فى هذه الكلمة الوجيزة هو دعوة الباحث المفضال الأستاذ دريني خشبة إلى اجتياز عقبات هذه المساجلة بأسلوب لا يجرح الأستاذ الرصافى ، ولا يصور الباحثين المصريين بصورة المتعنتين

وكنتُ وعدت بالرد على الأستاذ الرصافى ، وسأفى بما وعدت ولكن بالتجمل والترفق ، فما يجوز أن أجرح رجلاً شغل نفسه بتأليف كتاب يردّ به على كتابين من مؤلفاتى ، والأستاذ دريني يعرف أن الذوق هو خير ما دعا إليه الأنبياء

والمودة الوثيقة التى أضمرها للأستاذ دريني توجب علىّ أن أدعوه إلى الاقتصاد فى الغض من نظرية وحدة الوجود ، فهي نظرية عبقرية ، وهى خير ما جادت به قرائح الفلاسفة فى تاريخ الفكر الإنسانى ، وليس من السهل أن تهدم بمقالات يؤازره فيها الأستاذ عبد المنعم خلاف ، وإن بلغا الغاية فى قوة الحِجَاج

أنا أحترم كل رأى يصدر عن عقيدة ، وإن أنكره عقلى ، ولا أحتقر غير الآراء التى تصدر عن الرياء

ومن المؤكد عندى أن الأستاذ دريني والأستاذ عبد المنعم يصدُران عن عقيدة فى الغض من نظرية وحدة الوجود ، فأنا أنظر إلى ما يكتبان بعين المحب المعطوف

فإن قال قائل : وكيف جاز أن أسكت عن تأييد هذه النظرية والأقلام تنوشها من كل جانب ؟ فجوابى أنى قلت فيها كل ما أملك من القول فى كتاب التصوف الإسلامى ، وأنا أكره الحديث المعاد

وأنا أيضاً نقضت هذه النظرية بعد أن شرحتها فى كتابى ، لأن طريقتى فى التأليف تقوم على أساس الاستقصاء فى موازنة الآراء

وهنالك مشكلة سكت عنها الأستاذ دريني ، وهى تأثير تلك النظرية فى الحياة الإسلامية ، إن كان قرأ الفصل الخاص بالمدائح النبوية فى كتاب التصوف الإسلامى

فما رأيه فى هذه المشكلة ، وهى من كبريات المشكلات ؟

سيدفع الأستاذ دريني ثمن المودة التى أضمرها لروحه اللطيف ، والثمن هو دعوته إلى قراءة كتاب التصوف الإسلامى مرة ثانية ليرى كيف أقمت نظرية وحدة الوجود على أمتن أساس

يسرنى أن أساجل باحثاً له فى نفسى منزلة الصديق الغالى ، ويسرنى أن ينتصر فى المساجلة ؛ فما لى غرض غير الوصول إلى الحق ، ولو كان دليلى إليه أعدى أعدائى

أنا أعلن إيمانى بنظرية وحدة الوجود على نحو ما ذهبت إليه فى كتاب التصوف الإسلامى ، ولن أرتاب إلا بإقناع ، فهل تستطيع إقناعى يا أيها الصديق ؟

يجب أن تعرف أنى سأقهرك على المشى فوق الأشواك ، وأنى سأصل إلى إقناعك بما لم يقنعك به الأستاذ معروف الرصافى

أنت تهدد بالعودة من المصيف ، لتجتاح خصومك

وأنا أهددك بما ادّخرت لعقلى وقلبى من تحرير مصر الجديدة فتعال إلى مساجلتى يا أيها الصديق الغالى

وأساس المساجلة أن تترك التفكير فى أن نظرية وحدة الوجود تجنى على العقيدة الإسلامية

وأنا أعتذر بالنيابة عنك للأستاذ معروف الرصافى ، وهو رجل أعفى نفسه فى جميع أطوار حياته من الرياء ، وسيكون له فى تاريخ الشعر والرأى مكان

إنه رجل يعتذر عن الضعف بشيخوخته ، فكيف تستطيل عليه بشبابك ؟

سأرى ما تجيب به يا صديقى بعد عودتك من المصيف ، وإن كان لى سبيل إلى الهرب من مصاولتك ، وهى أنى أستعدّ لشرح مسابقة الأدب العربى ، فقد بدأتها فى الرسالة منذ أعوام ، ومكانها فى مجلة الرسالة وهو مكانها الأول ، فإلى اللقاء بعد أسابيع .

زكى مبارك

من الأستاذ خليل مطران إلى الأستاذ عبد الرحمن صدقى

حضرة الأديب الكبير والصديق الكريم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

كتبتَ لأبى نواس ترجمةً وافيةً من طراز جديد ، بلغة لا تختلف إلا قليلاً ، فصحاها فى هذا العهد ، عما كانت فى أزهر عهودها . وقد آثرت لها الأسلوب القصصى البارع فى الجانب الذى صَلُح منها لهذا الأسلوب ، فبلغتَ بقوة الخيال وحسن السبك ، مع مراعاة الحقيقة التاريخية غايةَ ما يبلغه الكاتب القصصى المجيد من التشويق . وكم كانت لك جولةٌ متعمقة وموفّقة فى نواحى تلك النفس المنغمسة فى الشهوات ، الحائرة المرتابة ، المؤمنة فى النهاية ، التى فعلت فيها البيئة الظرفية أفاعيلها على الولاء

وما من شك فى أن ذلك الشاعر المطبوع ـ الذى لم يدرك ذروته شاعرٌ فى العرب بعذوبة اللفظ ، وجلاء المعنى ، وطرافة الفطن ، وبداعة التصوير ـ قد ظل طوال أيامه ، وعلى اختلاف الحوادث التى مرت ، وعلى علاتها الجمة ، صادقاً مع نفسه كل الصدق فيما استقر عليه رأيه الأدبى ، أو الاجتماعى ، أو معتقده الدينى . ولذلك يستحق المعذرة لعبقريته ، وإن تصرّف فى سيرته المنتهكة تصرفاً لا يحبه الناس من الرجل العظيم

فأشكر لك هديتك ، وأثنى عليك بما يحق لك . ولكن عاقنى عن التوسع فى متابعة دراستك الحلوة ضعفُ جسمى ووهى عزمى ، لقد أوجزت لك بكلمة ما جرى به القلم على قدر

بارك الله فيك ، ويسّر لك أن تزيد العالم العربى من ثمرات ألمعيتك .

المخلص

خليل مطران

حول الخوارزمى

حجزتنا أشاغيل طرآنية عن التعقيب على كلمة الأستاذ على محمد حسن فى حينها ، ونحن إذ نحمد للكاتب يقظته فى تتبع السقطات والعثرات فى كل مقال أو قصيد ، نحب أن نطمئنه إلى أن « ظلم القرون » الذى تطوع بإزالته عن أبى بكر الخوارزمى ، قد فطن إليه المتأخرون من نقدة الأدب العربى ، ونحسب أن أحد المستشرقين وضع بحثاً علمياً فى المناظرة بين البديع والخوارزمى ، كما أن الدكتور عبد الوهاب عزام سلسل فى « الرسالة » قبل سنين مقالات ماتعة أزال بها الوهم الذى علق بأذهان المتأدبين فيما يتصل بهذه المناظرة التى وصفها الخوارزمى نفسه بأنها « شعبذة » ، وإذا لم تكن شعبذة فليست من الأدب فى شىء

كذلك لم تغب عنا المراجع التى نقل عنها الأستاذ أسانيده فى نصفة الخوارزمى ، ومع احتفاظنا برأينا فى أدب الرجلين لا نجزم بصحة المناظرة ، ولا بجدّيتها إن صحت ، وإنما جرنا إلى

ذكرها فى مقالنا الأول سياق الكلام لنثبت « رجعية » النظرة إلى الأديب من كلام الصاحب بن عباد الذى نسب إليه أيضاً قوله : « لو أدركت عيسى بن الهمذانى لأمرت بقطع يده » فلما سئل فى ذلك قال : « لأنه جمع شذور اللغة فرفع عن المتأدبين عناء البحث » يعنى بذلك كتاب « الألفاظ الكتابية » ومعنى هذا أن كل من وضع موسوعة أو صنف معجماً استحق فى دين « الصاحب » قطع يده ... نسأل الله السلامة !

(الرمل) منصور جاب الله

هول أغلوط أيضاً

فى عدد الرسالة الأخير تصويبات لغوية للأستاذ عبد الحميد ناصف المدرس بكلية اللغة العربية[1]، وقد أدهشنى أن أرى فيها كثيراً من الأخطاء التى لا يصح إغفالها والسكوت عليها فآثرت أن أنبه على بعضها

١ — يدعى الأستاذ أن الصدفة كلمة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها ، وفى حديث أبى ذر (والبر ما حاك فى النفس ولم تلده الصدفة)

ولقد اطلعت على اللسان والقاموس والمختار والمصباح فلم أجد كتاباً أورد لفظ صدفة ، على أن الذى حيرنى واستوقفنى وأثار عجبى هذا الحديث الذى ذكره . وليت شعرى كيف يسيغ الأستاذ مثل هذا الخلط العجيب الذى لا تصححه رواية ، ولا تجيزه دراية ولا يلتئم عليه معنى ؟ وهل يستجيز عقل أو يستبيح ذوق أن يكون البر مما يحوك فى النفس ويتردد فى القلب ؟ وأين يقع الإثم إذاً ؟

لقد ورد هذا الحديث فى كتب السنة هكذا (عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه) قال : سألت رسول الله (ص) عن البر والإثم فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . وفى رواية أخرى سأل رجل رسول الله (ص) عن البر . فقال : جئت تسأل عن البر . قال : نعم . فقال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك ، وهكذا كل روايات الحديث ، وهى موافقة للمعنى المستقيم الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولم يرد فيها لفظ الصدفة ، ولا هى مما تمت إلى معانيه بسبب . فمن أين أدخلت على الأستاذ روايته وكتب السنة بأجمعها دون استثناء ليس فيها كلمة صدفة المقحمة فى هذا الحديث

وأعجب شىء أن يستدل بصحة هناء بقول الشاعر :

هناء محاذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

ومن هذا الشاعر الذى احتج بقوله ؟ هو ابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ . قاله فى تهنئة الملك الأفضل صاحب حماة ، وتعزيته فى وفاة والده المؤيد . فهل ابن نباته ممن يحتج بكلامهم فى اللغة أم ذلك مذهب جديد فى فن الاحتجاج والاستشهاد

٢ — وصف الجمع بصفة المفرد لعله لم يرد إلا فى كلام المؤلفين وافتراضات المتأخرين ؛ فإن ذهبت تلتمس له شاهداً صحيحاً من كلام العرب أعجزك العثور عليه . أما البيت الذى زعم أن جريراً قاله فلا يوجد فى ديوانه ولا هو مما يشبه شعره

عبد الحميد المدابرت

ملاحظات ورجاء

اطلعت على القسم الثانى من ملحمة السراب للأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم ناجى فى العدد ٥٧٥ من الرسالة الغراء ، فأعجبنى تصويره أيما إعجاب حيث تجلت فيه عبقرية الشاعر العظيم . وبينما كنت فى طريق أثناء قراءة الملحمة لاحظت عند منتهاها قبل البيت الأخير أن ضلع الشطر الثانى مكسور وهذا هو البيت :

مرحباً بالهوى الكبير فإن يبـــق وإن تسلمى يطب لنفسى البقاء

ويمكن الجبر بحذف شىء منه أو بتغيير الشطر ، وقد سبق فى العدد الماضى من الرسالة ٥٧٤ أن أبدى الأستاذ على بك حسن رأيه فى القصيدة المعنونة بالسراب ، حيث لاحظ كسراً فى ضلع بعض الأبيات . والقصيدتان من بحر الخفيف ، فأرجو أن يتفضل الشاعر الألمعى فيجبر الكسر مع قبول عظيم تشكراتى وخالص تحياتى .

« مكة المكرمة » يوسف قحطى

(١) « الرسالة » كتب إلينا الأستاذ ناصف يتبرأ من هذه التصويبات ويقول أنها مدسوسة عليه ، فهذا الرد موجه إلى ذلك الجاهل المجهول